سيدي الرئيس

3. فرص الطرق السريعة

رن الهاتف في محطة للتزود بالوقود و تصليح السيارات في أحد الطرق النائية المؤدية إلى (لاس فيغاس). أجاب على الهاتف ميكانيكي ملطخ قفازيه بزيوت و شحوم السيارات. رفع الهاتف بعنف فيما يبدوا عليه انه كان مشغولاً بإصلاح أحد السيارات تحت لهيب الحر في تلك المنطقة الصحراوية و التي بدت محطة التزود بالوقود المصنوعة من خشب قديم البناء الوحيد على امتداد 50 كيلومتراً بتلك المنطقة المعزولة. صوت المولد الكهربائي كان الأكثر إزعاجاً من أي شيء آخر في تلك المحطة، فيما بدا أن مصدر الكهرباء الوحيد حينا تلاه صوت مراوح السقف القديمة و التي تصدر صريراً مستمراً أثناء دورانها.

"نعم؟ أنا مشغول الآن!!! تحدث بسرعة!" و انقطع الخط بعدها مباشرة...

نظر الميكانيكي إلى سماعة الهاتف باستغراب قبل أن يضعها مكانها مرة أخرى. مر عليه زميله و سأله عمن كان بالهاتف.

"لا أعلم. أغلق الهاتف دون أن يقول شيئاً!"

"دايفيد! طباعك الفظة تجعل الناس ينفرون منك... أنظر كيف هجرتك زوجتك و ذهبت لتعيش مع ذاك الرجل الـ..."

رمى الميكانيكي الأداة التي كانت في يده على زميله قبل أن يكمل كلامه – و الذي بدوره تفاداها بسنتميترات قليلة قبل أن ترتد عن الحائط.

"إياك و الكلام عن زوجتي مرة أخرى!! أفهمت؟!" قالها و هو يشير عليه بسبابته و قد بدت عروق رأسه منتفخة على وجنتيه و اتسعت عيناه و بدأ بالتنفس بسرعة.

"أهدأ يا ديفيد! كنت امزح معك! (تركتني) زوجتي أيضاً عندما اكتفت من العيش في هذه المحطة لثلاث سنوات. و لكنها لم تكن تطيقك أيضاً..."

"اخرس!!!" قالها ديفيد بصوت غطى على هدير المولد الكهربائي و العرق يقطر من وجهه. شعر الزوجان العجوزان و الذي كان ديفيد يقوم بإصلاح سيارتهما للتوجه إلى (لاس فيغاس) بالخوف و هما يمسكان ببعضهما البعض.

"اهدءا! هذه طباع ديفيد دائماً... لا داعي للخوف! فهو يصرخ أكثر مما يفعل... بالمناسبة، أتريد أن اخبرهما عن ماذا كنت تفعل في مستشفى الأمراض العقلية قبل 3 سنوات؟"

"أغرب عن وجهي!!!!" و قد أصبح وجه ديفيد محمراً و كأنه سينفجر من الدماء المتجمعة به. جاء إلى الورشة من المكتب الكائن في الجهة المقابلة من المبنى فتاة شقراء ذات شعر قصير و عيون زرقاء و بشرة فاتحة، ترتدي ملابس خفيفة لحرارة الجو المرتفعة و بيدها مجموعة من الأوراق تحركها يمنة و يسرى باتجاه وجهها لتقاوم أثر الحر قبل الدخول في المكان المخصص لإصلاح السيارات.

"صامويل!"

"نعم سيمون؟"

"لدي أوراق لك وصلت على الفاكس لتوها"

"مِن مَن؟؟"

"صدق أو لا تصدق: وزارة العمل!"

خلع صامويل قفازيه و هو يقترب من سيمون و يسحب الأوراق من يديها و علامات الدهشة بادية على وجهه.

"ماذا يريدون؟"

"لا أعلم. لكن يبدوا أنهم (يودون التعامل معك). ما الذي يعنوه بذلك؟؟"

"لا أعلم..."

نظرت سيمون إلى الأوراق، و قرأت أحد الأسطر الموجودة في آخر الفاكس:

"أخبرنا بقرارك النهائي بحلول صباح الغد. لن نقبل إلا بالإيجاب من شخص مثلك، فنحن نعلم جيداً أنه لا يوجد شخص يضاهيك مهارة في القيام بمثل هذه الأعمال، و تعلم جيداً أن عدم الموافقة سيأتي بآثار كارثية على رخصة محطة الوقود الخاصة بك. الوطن يعتمد عليك... ما الذي يقصدون بكلام مثل هذا؟ هل هم يبتزونك؟ تعلم جيداً أن لا أحد يستطيع ابتزازك!!! لا يحق لهم فعل ذلك!" صاحت سيمون.

"و لكن، لم يذكروا حتى ما الذي يودون التعامل معك بشأنه... هل لديك فكرة؟"

كان صامويل غارقاً في التفكير و التأمل و قد تسمرت عيناه على الرسالة و تجمدت ملامحه، كأنه يعيش عالماً آخر غير الورشة و محطة الوقود. لاحظت سيمون ذلك عندما تجاهل الإجابة على سؤالها.

"هل أنت معي؟"

"ها؟ آه! نعم... كلا... لا أعلم عن ماذا يتكلمون"

"هل أنت بخير؟" سألت سيمون.

"نعم نعم بالطبع، أنا بخير... سأتصل بهم و سأسأل عما يريدون بالضبط..."

"حسناً... إلا انك تتصرف بغرابة خلال الأيام القليلة الماضية... هل تحن إلى زوجتك؟"

أشاح صامويل وجهه عن سيمون و قال: "أعتقد أنها أفضل حالاً هكذا بعيداً عن هذه الدنيا القذرة المليئة بالخيانة و الكره و الجشع. ربما افتقدها و لكني أؤمن أنها أسعد في الجنة مما لو بقيت على وجه الأرض... حتى و أن تركت البعض حزيناً و وحيداً..."

التقط صامويل قفازيه من على الطاولة و ارتداهما ليكمل عمله على محرك سيارة كاديلاك و التي تعود إلى سبعينات القرن الماضي، مطلية باللون الوردي الفاقع و مثبت فيها الكراسي البيضاء المصنوعة يدوياً من الجلد الفاخرة و امتلأت لوحة تحكمها بكل تلك الأزرار و العدادات و الأسهم. على الرغم من قِدَمِها إلا أن وصف مقدار العناية التي تلقتها هذه السيارة من صاحبها لا يمكن تقديره بأقل من ممتاز، لتبدوا و كأنها سيارة جديدة بطراز قديم تأبى أن تطاوع ما يفعل الزمن بالأشياء.

جلست سيدة على مقربة من السيارة تحتسي القهوة السوداء و هي ترتدي بدلة سوداء و قبعة سوداء أيضاً غريبة الشكل، و في يدها اليسرى سيجارة دقيقة السمك فارهة الطول فيما يبدوا أنها من إنتاج فرنسي مستورد، تدخنها بمرشح بلاستيكي وضع على المرشح الأصلي مطلي باللون الأسود ما يتناسب و الملابس التي كانت ترتديها. كانت تضع على عينيها نظارة دائرية ضخمة مغطاة بطبقة سوداء شفافة بدت أنها أتت من الثمانينات، بينما كانت الصحيفة الموضوعة على الطاولة مفتوحة على صفحة الأخبار السياسية، و التي كانت تتحدث عن الموت المفاجئ لرئيس أحد دول العالم الثالث.

بينما كان صامويل مستغرقاً في العمل على إيجاد مكان العطل في المحرك سألته السيدة إذا ما كان سينتهي سريعاً من إصلاح السيارة أم انه قد يستغرق وقتاً أطول.

"ليس لدي اليوم بطوله، كما تعلم..."

"سيدتي، إني ابذل قصارى جهدي. لديك سيارة رائعة و لكن حتى السيارات الرائعة لها هفواتها أيضاً"

"هل تعتقد أن في سيارتي (هفوة)؟"

"كلا، ليس تماماً... و لكن جهلي بمكان الخلل يعرقل أدائي لمهمتي"

"قد يكون الخلل تحت أنفك تماماً... لهذا لا تراه..."

"الفرص قد تكون كذلك أيضاً، إذا ما أمعنت النظر جيداً..."، قالتها السيدة و هي تقوم من على الكرسي و تضع كوب القهوة على صحن المخصص له و الذي كان موضوعاً بدوره على الطاولة.

نظر إليها صامويل نظرة خاطفة غير مبالية و أدار رأسه نحو المحرك – لعل و عسى يجد خيطاً يدله على مكمن الخلل.

اقتربت منه السيدة و همست في أذنه اليمنى بصوت يشبه صوت الأرواح في المقابر بمنتصف الليل...

"قد تكون الفرص تحت قدميك... أو تحت السيارة أو المحرك، أو حتى في مكان مظلم رطب..." و هي تميل بجسدها للوراء و تواجهه بابتسامة غريبة بعد خلعها لنظارتها الشمسية...

"و قد تمد يدك إليها... و يعضك عنكبوت أسود سام!" في حين بلغت الابتسامة أشدها على وجهها.

"و لكن، إن لم تمد يدك أيضاً ستأسف على عدم اغتنامك الفرصة في ذلك اليوم... أي الخيارين كنت لتختار؟". استدارت و تمشت بخيلاء قرب طاولتها لتضع ورقة نقدية من فئة المائة دولار في كوب القهوة و تتسخ أطراف الورقة النقدية بالـ"إسبرسو" قبل أن تلقي بطاقة العمل الخاصة بها على الطاولة.

"ماذا أخبرتك تلك السيدة؟" سأل ديفيد بلهجة ملئها التساؤل...

كان صامويل لا يزال يحدق في تلك السيدة و هي تمشي إلى الساحة الخلفية. تلك السيدة التي بدت بدورها و كأنها قد خرجت للتو من جنازة زوجها. كحل عينيها بدا غليظاً كأنها مشعوذة شابة، إلا أن شعرها الأشقر المربوط قد أخفى جانباً من هذا الشر و أظهر جسدها النحيل كجسد عارضات الأزياء

و الملفوف بذاك الرداء الأسود أنوثة تلفت الأنظار. لم يبد على وجه صامويل الإعجاب قدر ما كان مستغرقاً في التأمل و التفكير بما قالته السيدة في السواد. سرعان ما ظهرت علامات الاستنكار على وجه صامويل و هو يخطو خطوات ثقيلة إلى الطاولة و التقط البطاقة و الورقة النقدية بحذر شديد مستخدماً قطعة قماش بيضاء نظيفة.

"اعلم أنها أخافتك، و لكنها بدت مثيرة لي!"

"اسكت يا ديفيد! هذا ليس وقتاً مناسباً للتفكير بمثل هذه الأمور..."

"ماذا دهاك يا صامويل؟" و ديفيد يقوم من على الأرض بعد أن كان يقوم بإصلاح سيارة العجوزان، و حاول التقاط بطاقة العمل التي كان صامويل يقوم بقراءتها بتأني.

"أبعد يدك!" صاح صامويل في وجه ديفيد.

"صامويل صامويل! عزيزي، ما الذي دهاك أنت الآن؟! ها؟؟؟ هل أثرت فيك تلك السيدة إلى هذه الدرجة؟ أخبرني، ما الذي أخبرتك به؟ ها؟؟؟ أوه! بطاقة عمل! لقد حصلت على رقم هاتفها أيضاً و محل سكنها! يبدوا أنها كانت معجبة بك! أليس كذلك يا صامويل؟!"

أشاح صامويل بوجهه بعيداً عن ديفيد و هو يقرأ البطاقة بتأني للمرة الثالثة...

"باربرا ر. شتاين
مصممة أزياء
دار أوركيديا للأقمشة و الأزياء
نحيك لكم الفخر الملابس و الأزياء و الأقمشة. نصنع ما يليق بكم!"

"أوركيديا... أوركيديا... أين سمعت هذا الاسم من قبل؟"

أدار صامويل البطاقة، ليجد عليها كلمات كتبت بقلم الحبر...

"كازينو الملكات الأربع
شارع كارسون
عند تقاطع مركز الكازينوهات الشمالي
تعلم أين و متى تجدني جيداً!"

موقعة بطبعة أحمر شفاه غامق على الجانب الأيسر من البطاقة و رائحة العطر تفوح منها.

حدق صامويل في السطر الأخير بالعبارة الموجودة خلف البطاقة و امسك الورقة النقدية مزيلاً عنها آثار القهوة، واضعاً إياها في محاذاة الشمس الصحراوية الحارة متطلعاً إلى الختم المائي – و الذي يحدد كون الورقة النقدية أصلية أم مزورة.

"لا اعتقد أن سيدة كهذه كانت لتعطيك ورقة نقدية مزورة! ما الذي تحاول إيجاده؟"

لم يجب صامويل و هو يدقق في الورقة النقدية.

"لابد أنها إكرامية جيدة مقابل إلقاء نظرة على سيارتها و على كوب قهوة، خصوصاً و أن السيدة لم تتلق فاتورة إصلاح سيارتها بعد!"

"ديفيد... هي لا تريد إصلاح سيارتها... كانت تريد لقائي فحسب..."

"اووووه! صامويل صديقي! إنك لشخص محظوظ لكون امرأة مثلها تأتي إلى وسط الصحراء الأمريكية الملتهبة لتلتقي بك! عليك أن تشعر بالامتنان للقدر لإعطائك فرصة كهذه!"

لم يرد صامويل عليه هذه المرة أيضاً... و بدا و كأنه يكتشف شيئاً فشيئاً في الورقة النقدية تلك... و الأفكار تجول في رأسه:

"الورقة النقدية من فئة 100 ذات رقم تسلسلي ينتهي بـ 935A و الرقم 13 الذي يمثل تاريخ الغد... مجموع الأرقام التي تليه هو الشهر الجاري، إضافة إلى كون الورقة طبعت هذا العام ... تريد لقائي غداً في تمام الساعة التاسعة و 35 دقيقة صباحاً في الكازينو... أعتقد أن الرقم 100 له علاقة بالمكان"

ذهبت سيمون لتشكر السيدة على ورقة النقد ذات المائة دولار... "كان من الأفضل أن تكون لبقاً و تشكرها على هذه الإكرامية يا صامويل... صمتك هذا ليس من عادتك!" بينما لم يعرها صامويل أي اهتمام وسط صمت ديفيد ايضاً...

"أين ذهبت!؟!؟!؟!؟!؟!؟!" صرخت سيمون فجأة...

"عمن تتكلمين يا سيمون؟؟"

"هي!!! لقد اختفت! أين يمكنها أن تذهب من غير سيارتها؟؟؟"

"الصحراء واسعة. يمكنها الذهاب إلى الجحيم إذا أرادت..." قالها صامويل قبل أن يسود صمت وسط نظرات من الاستغراب...

"إلى أين أنت ذاهب يا صامويل؟" قالتها سيمون بعد فترة.

"سأتصل بالوزارة. سأخبرهم بأني أقبل العرض..."

"العرض؟؟؟ أي عرض؟؟؟؟" قالتها سيمون بتعجب...

"يريدون مني إصلاح بعض الأمور في الوزارة. يبدوا أنها بضع مركبات متعطلة كانوا يردون التخلص منها و لكنهم يريدون إصلاحها الآن..."

"و ما دخل هذا بالوطن؟" قالها ديفيد بهدوء...

"نحن دافعي الضرائب، و نحن الذين سندفع ثمن المركبات الجديدة... أليس كذلك؟"

قيلت... و صامويل يركب السلم ليبدل ثيابه قبل أن يتجه... إلى واشنطون...